

المحاضرة الرابعة: الاتجاه الانتشاري

يؤكد اتجاه الانتشار الثقافي (Diffusionism) على انتشار الممارسات والأفكار الثقافية كوسيلة للتنمية. يسلط هذا الاتجاه الضوء على أهمية السياق الثقافي في تشكيل عمليات التنمية، معارضاً اتجاه التحديث الموحد.

1.1. الخلفيات والمؤثرات الفكرية:

هذا الاتجاه، الذي له جذور في الأنثروبولوجيا، يتقاطع مع نظرية التحديث، ولكنه يركز بشكل خاص على آلية الانتقال الثقافي. نشأ هذا الاتجاه في الأنثروبولوجيا كرد فعل على التطورية الكلاسيكية، وركز على كيفية انتقال السمات الثقافية من مجتمع إلى آخر عبر الاتصال والهجرة. رواد هذا الاتجاه هم مجموعة من الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماعيين الأوروبيين من بريطانيا وألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. فريدريك راتزل في ألمانيا وفرانز بواس في أمريكا.

2.1. المنظور النظري نحو التنمية والتخلف:

نشأ هذا الاتجاه في ظل الاهتمام بدور الثقافة في التنمية، وركز على انتقال الأفكار والتقنيات من المجتمعات المتقدمة إلى المتخلفة عبر "الانتشار" (Zidana, 2023; Webster, 1984) يرى هذا الاتجاه أن الثقافات لا تتطور بمعزل عن بعضها البعض، بل تنتقل العناصر الثقافية (كالمعارف والاختراعات والمؤسسات) من مجتمع لآخر عن طريق الانتشار والاتصال الثقافي وليس بالضرورة عن طريق التطور الداخلي وحده.

يجادل الاتجاه الانتشاري أن التنمية يمكن تحقيقها من خلال انتقال وانتشار عناصر التقدم (مثل التكنولوجيا، الأفكار، السلع، القيم الحديثة) من الدول المتقدمة (المراكز) إلى الدول النامية (الأطراف). "حيث انطلق من نقطة أساسية هي أن التنمية شكل من أشكال التغيير الاجتماعي، تتم بواسطة الانتشار الثقافي من المركز". (قيرة وغربي، 2017، ص 15) يفترض هذا الاتجاه أن عملية الانتشار الثقافي (Cultural Diffusion) تحدث بشكل تدريجي، حيث تنتقل العناصر أولاً من عواصم الدول المتقدمة إلى عواصم الدول النامية، ثم تنتشر منها إلى باقي أقاليم الدولة.

بشكل عام اهتم هذا الاتجاه برصد وتتبع كيف تنتقل الابتكارات العلمية والتكنولوجية عبر الحدود. معرفة دور المؤسسات الوسيطة (الإعلام، التعليم، المساعدات) في نشر التغيير. واستكشاف العلاقة بين التغيير الثقافي والتنمية الاقتصادية.

3.1. كيف تتحقق التنمية وفق هذا الاتجاه؟

- تتحقق التنمية وفقاً لاتجاه الانتشار الثقافي عبر نقل الابتكارات والقيم والمؤسسات من المركز إلى الأطراف.

- التنمية تحدث بفضل انتقال الأفكار والابتكارات والقيم من المجتمعات المتقدمة إلى المتخلفة.

- يفهم التخلف كنتيجة لعزلة ثقافية أو بطء في تقبل الابتكارات. وحل هذه المشكلة "يكن في عملية الانتشار ذاتها، بمعنى انتشار الخصائص النموذجية المثالية من المركز نحو الأطراف، أي حجم مقومات التقدم "المنقولة" من البلدان المتقدمة (المعرفة العلمية بنوعها الصريحة والضمنية، رأس المال، القيم الغربية، المهارات المختلفة، وما إلى ذلك) ". (قيرة وغربي، 2017، ص ص 15-16)

4.1. أهم الانتقادات:

- نظرة ميكانيكية: غالباً ما يقدم هذا الاتجاه صورة آلية ومبسطة لعملية الانتقال الثقافي، متجاهلاً أن العناصر المنتشرة يتم تعديلها وتكييفها وإعادة تفسيرها في سياقها الجديد.

- إهمال علاقات القوة: لا يعطي هذا الاتجاه اهتماماً كافياً لعلاقات القوة والهيمنة التي تحكم عملية الانتشار، حيث لا يكون الانتقال دائماً طوعياً أو محايداً. "فالانتشار ليس عملية اقتصادية-سياسية حيادية، وإنما ينطوي على علاقات سيطرة واستغلال المركز للأطراف". (قيرة وغربي، 2017، ص 16)

- التركيز على العرض دون الطلب: يركز على عملية "إرسال" الابتكارات من المركز، ويفترض ضمناً وجود حاجة لها في الأطراف، دون تحليل كافٍ للسياق المحلي.

- إهمال السياق المحلي وخصوصية المجتمعات، والميل إلى تبرير التبعية للمركز، وتجاهل البنى الاقتصادية والسياسية للعلاقات غير المتكافئة التي تنجم عنها.

- اختزال التنمية في مجرد نقل تقنيات أو قيم دون مراعاة البنية الاجتماعية، حيث اعتبر هذا الاتجاه ذو نزعة تبسيطية ترى التنمية مجرد استيراد للابتكارات. (Zidana, 2023; Webster, 1984)